

تفسير البحر المحيط

@ 33 @ إِنْزَالًا كَمَا شِئْتُمْ وَإِلَّا كَذَّابٌ فَلَيْلًا إِنْزَالًا كَمَا شِئْتُمْ * يَوْمَ
 نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنْزَالًا مُنْتَقِمُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ
 قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدَّسُوا إِلَيَّ عِبَادَ
 اللَّهِ * إِنْزَالًا كَمَا شِئْتُمْ * وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ * إِنْزَالًا
 بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * وَإِنْزَالًا * وَإِنْزَالًا بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ * أَنْ تَرْتَدُّوا
 * وَإِنْزَالًا * تُوْمِنُوا لِي فَأَعْتَزَلُونَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءَ قَوْمٍ
 مُّجْرِمُونَ * فَأَسْرَبَ بِهِ بَادِيَ لَيْلًا إِنْزَالًا كَمَا شِئْتُمْ * وَأَتْرُكُ
 الْبَحْرَ رَهْوًا إِنْزَالًا كَمَا شِئْتُمْ * جُنْدٌ مَّغْرَقُونَ * كَمَا تَرَكَوْا مِنْ جَنَاحَاتِ
 وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ *
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
 وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ . . .

هذه السورة مكية ، قيل : إلا قوله : { إِنْزَالًا كَمَا شِئْتُمْ وَإِلَّا كَذَّابٌ فَلَيْلًا إِنْزَالًا كَمَا شِئْتُمْ } . ومناسبة هذه السورة أنه ذكر في أواخر ما قبلها : { فَذَرَهُمْ
 يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ } ، فذكر
 يوماً غير معين ، ولا موصوفاً . فبين في أوائل هذه السورة ذلك اليوم ، بوصف وصفه فقال :
 { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ } ، وأن العذاب يأتيهم من
 قبلك ، ويحل بهم من الجذب والقحط ، ويكون العذاب في الدنيا ، وإن كان العذاب في الآخرة
 ، فيكون يومهم الذي يوعدون يوم القيامة . والظاهر أن الكتاب المبين هو القرآن ، أقسم
 به تعالى . ويكون الضمير في أنزلناه عائداً عليه . قيل : ويجوز أن يراد به الكتب
 الإلهية المنزلة ، وأن يراد به اللوح المحفوظ ، وجواب القسم . وقال الزمخشري وغيره :
 قوله : { إِنْزَالًا أَنْزَلْنَاهُ } ، على أن الكتاب هو القرآن ، ويكون قد عظمه تعالى
 بالإقسام به . وقال ابن عطية : لا يحسن وقوع القسم عليه ، أي على إنا أنزلناه ، وهو
 اعتراض يتضمن تفخيم الكتاب ، ويكون الذي وقع عليه القسم { إِنْزَالًا كَمَا شِئْتُمْ مُنذَرِينَ }
 . انتهى . قال قتادة ، وابن زيد ، والحسن : الليلة المباركة : ليلة القدر . وقالوا :
 كتب الله كلها إنما نزلت في رمضان ؛ التوراة في أوله ، والإنجيل في وسطه ، والزبور في نحو
 ذلك ، والقرآن في آخره ، في ليلة القدر ؛ ويعني ابتداء نزوله كان في ليلة القدر . وقيل
 : أنزل جملة ليلة القدر إلى البيت المعمور ، ومن هناك كان جبريل يتلقاه . وقال عكرمة

وغيره : هي ليلة النصف من شعبان ، وقد أوردوا فيها أحاديث . وقال الحافظ أبو بكر بن العربي : لا يصح فيها شيء ، ولا في نسخ الآجال فيها . .

إنا كنا منذرين : أي مخوفين . قال الزمخشري : فإن قلت : { إِرْزَّآ كُذَّآ مُنْذِرِينَ * } فـيها يُفَرِّقُ كُلُّهُ أَمْرٌ حَكِيمٌ { ، ما موقع هاتين الجملتين ؟ قلت : هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان ، فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى : { إِرْزَّآ أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْبَارِئَةِ } ، كأنه قيل : أنزلناه ، لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب . وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصاً ، لأن إنزال القرآن من الأمور المحكمة ، وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ، والمباركة : الكثيرة الخير ، لما ينتج □ فيها من الأمور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده ، لكفى به بركة . انتهى . وقرأ الحسن ، والأعرج ، والأعمش : يفرق ، بفتح الياء وضم الراء ، كل : بالنصب ، أي يفرق □ . وقرأ زيد بن علي ، فيما ذكر الزمخشري : نفرق بالنون ، كل بالنصب ؛ وفيما ذكر أبو علي الأهوازي : عينه بفتح الياء وكسر الراء ، ونصب كل ، ورفع حكيم ، على أنه الفاعل بيفرق . وقرأ الحسن : وزائدة عن الأعمش بالتشديد مبنياً للمفعول ، أو معنى يفرق : يفصل من غيره ويلخص . ووصف أمر بحكيم ، أي أمر ذي حكمة ؛ وقد أبهم تعالى هذا الأمر . .

وقال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد : في ليلة القدر يفصل كل ما في العام المقبل من الأقدار والأرزاق والآجال وغير ذلك ، ويكتب ذلك إلى مثلها من العام المقبل . وقال هلال بن أساف : كان يقال : انتظر والقضاء في رمضان . وقال عكرمة : لفضل الملائكة في ليلة النصف من شعبان . وجوزوا في أمراً أن يكون مفعولاً به بمنذرين لقوله : { لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا } . أو على الاختصاص ، جعل كل أمر حكيم جزلاً فخماً ، بأن وصفه بالحكيم ، ثم زاده جزالة